الخطاب النهائي

الذي ألقاه أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٢/٩/١٨م

اجتماع مجلس أنصار الله في بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

قبل قليل ألقيت خطابا في اجتماع النساء ووجهتهن إلى بعض الأمور، وهي لا تخص النساء فقط، بل حين وجّه الله تعالى إلى هذه الأمور في القرآن الكريم فخاطب الرجال والنساء كليهما للتحلي بهذه الحسنات والتوجه إليها، إلا أنني ضربت بعض الأمثلة واضعا النساء وظروفهن في الحسبان، ولكن معظم الأمثلة تنطبق على الرجال والنساء كليهما. مثلا إحراز المستوى العالي للصدق والتوجه إلى العبادات هي من الأمور الضرورية للرجال أيضا لكي يحسّنوا دنياهم وعُقباهم، كما يكونوا أسوة لذرياتهم ووسيلة لتحسين دنياها وعقباها.

من عادة بعض الناس أنهم لا يحسبون أنفسهم مخاطَبين للنصائح، ويحسبونها للآخرين ثم يقولون لاحظوا، كيف إن الخليفة وجّه بشدة فرعا فلانيا أو فئة فلانية للجماعة، وكذلك يقولون إن هؤلاء الناس كانوا جديرين بذلك، وكان يجب إصلاحهم. ولكنْ هؤلاء القائلون لا ينظرون إلى أنفسهم، مع أنه كان يجب أن يحسب كل واحد منهم نفسه مخاطَبا، وأن ينظر إلى نفسه ويحاسبها بحيث يرى أن الأمور التي وجّه إليها الخليفة الآخرين أو فئة معينة فهو يوجّه وفق تعاليم الإسلام، فعلينا أن نفحص أنفسنا ما إذا كنا نحقق هذه المستويات لإحراز الحسنات ونجعلها جزءا من حياتنا، فإذا فهمنا أن الخليفة حين يوجه الأحمديين في أي دولة أو فئة معينة في الجماعة إلى بعض الحسنات فعلينا أن نفحص أنفسنا لكوننا أفراد الجماعة هل نتحلى بهذه الحسنات التي يُوجّه إليها، وهل فينا هذه السيئات التي يُوجه إلى اجتنابها. فالآن مادام العالم كله صار واحدا من حيث التواصل عبر التلفاز فعلى كل أحمدي أن يحسب نفسه مخاطَبا لكل ما يوجّه إليه الخليفة لإصلاح الجماعة وأن يسعى للعمل به، حينها نستطيع أن نحدث انقلابا في حالاتنا. فأول شيء هو أن الأمور التي ذكرتها في خيمة النساء يجب على الأنصار أن يحسبوا

أنفسهم مخاطَبين بها، فحين يسعى الرجل والمرأة معا لإحراز الحسنات ولاجتناب السيئات فسوف يحدث انقلاب في بيوتنا وفي حالاتنا وفي ذرياتنا في مجتمعاتنا.

في عمر الأنصار، الذي هو عمر بلوغ الفكر الرشد، عليهم أن يهتموا بشكل خاص إلى أن كل حسنة وُجهت إليها أي فئة للجماعة علينا أن نطبقها على أنفسنا بل علينا أن نكون نموذجا للآخرين ونقيم مجتمعا إسلاميا حقيقيا. وفي هذا الزمن جاء المسيح الموعود عليه السلام لإصلاح الدنيا ولنشر تعاليم الإسلام وقد آمنَّا به لكي نصلح أنفسنا ونخبر الدنيا ونطلعها على تعاليم الإسلام الجميلة، ولذلك يجب علينا أن نسعى للتحلي بكل حسنة والتخلي عن كل سيئة كارهين إياها. والنصائح التي أسداها المسيح الموعود عليه السلام للجماعة في مختلف المناسبات سأبين بعضها لكم.

وكما قلت إن البالغين من العمر مجلس "أنصار الله" يكونون قد بلغوا ذروة عقلهم وخبرتهم أيضا، وهو أمر يقتضي منهم أن يُروا نماذج عليا لحالتهم الدينية والروحانية والأخلاقية، وليتفقدوا ما هو التغيير الطيب الذي أحدثوه في أنفسهم بعد الإيمان بالمسيح الموعود عليه السلام، ثم كيف ينفعون به الآخرين. لقد قال المسيح الموعود عليه السلام مرة: "يريد الله تعالى أن يجعل جماعتنا نموذجًا للآخرين." فما يمكن أن يسمّى الجزء الأفضل للجماعة من حيث العقل والحكمة والخبرة إنما هو الذي يتضمن أولئك الذين بلغوا عمر أنصار الله كما قلت.

فينبغي لمؤسسة أنصار الله أن تكون هي المؤسسة الفرعية المعنية لإقامة نماذج عليا في العبادات والأخلاق السامية وفي الحسنات الأخرى أيضا. ولا يتأتى ذلك إلا إذا تحلى قلب الإنسان بالتقوى، وبعد كل هذا تنشأ علاقة الإنسان مع الله تعالى الذي يوفقه لإقامة معايير العبادة والأخلاق السامية، ويوفقه ليُعَدّ من الأنصار الحقيقيين.

ظل المسيح الموعود عليه السلام يوصي المؤمنين به في أماكن كثيرة بكل حرقة أن يسلكوا سبل التقوى، وظل يكررها مرة بعد أخرى لأن التقوى شيء أساسي، فيقول حضرته: إن الله لا يرضى إلا بالتقوى. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُمْ مُّحْسِنُونَ﴾. فينبغي أن نستعرض أنفسنا لنعرف مدى تحلينا بالتقوى، ومعايير إحساننا. يقول الله تعالى بأن هؤلاء يُعَدّون من المحسنين. فينبغي أن نعرف ما هي معايير الإحسان.

لا يمكن أن نُدعى الأنصار الحقيقيين برفع الهتاف بأننا أنصار الله ومعينون لدين الله تعالى إلا إذا خلقنا في أنفسنا صفة التحلي بالتقوى وصرنا من المحسنين أيضا. لا يحتاج الله تعالى إلى مساعدتنا، فإنه

مالك القوى كلها، بل هذه منة الله تعالى علينا أنه أقام نظامًا ثم قال لنا بأنكم إذا أصبحتم جزءًا من هذا النظام فإنني أعدّكم من الناصرين لدينه، ولكن يجب أن تتذكروا بأنني سأعُدُّكم من أنصار دين الله حين تتحلّون بالتقوى وتكونون من المحسنين فقط.

فما هي التقوى؟ إنما التقوى أن يكتنف القلب محبة الله وخوفه وخشيته، بحيث يفكر المرء قبل الإقدام على أي عمل بأن الله تعالى يراه. والمحسنون هم الذين يعلمون الحسنات ثم يعملون بها. يقول الله تعالى بأنني لا أعتبركم أنصاري إلا عندما تتحلون بالتقوى، وعندما يؤدي كل عملكم وفكركم إلى كسب الحسنات، ثم سأبارك في أعمالكم وأشغالكم، وسأقف بجانبكم، حينها تنالون نجاحًا باهرًا في كل ما ستقومون به من خدمة للدين. لولا فضل الله تعالى لما وسع الإنسان أن يدّعي بأنه من أنصار الله ومن المعينين لله تعالى. فبدون فضل الله تعالى لا يسعنا أن نتنفس مرة تلو الأخرى. يقول الله تعالى بأنني أقبلكم ناصرين لدين الله وستحالفكم نصرتي ولكن بشرط أن تسلكوا سبل التقوى واكسبوا الحسنات، وبعد كل هذا ستظهر لأعمالكم التي تقومون بها لوجه الله تعالى نتائج غزيرة تثبت كونكم أنصار الله في حقيقة الأمر، ولهذا السبب سيبارك الله تعالى في أعمال هؤلاء بركات لا تعد ولا تُحصى.

فهذا هو التفكير الذي يجب أن يحمله كل واحد من أنصار الله، إذ لا تتحقق غاية بيعتنا بدون ذلك. لقد قال سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام ذات مرة: إن جماعتنا بحاجة إلى التقوى بوجه خاص، لأنهم قد انتموا وبايعوا شخصا يدعي أنه مأمور من الله تعالى، ذلك لكي ينجوا من جميع الآفات مهما كانوا من قبلُ مصابين بأنواع البغض والحقد والشرك والتهافت على الدنيا.

فما دمنا نهتف بأننا أنصار الله فلا بد لنا من تطهير أنفسنا أولا، لكي نطهر الدنيا من السيئات والشرك بعد ذلك، ولكي ننور قلوب القوم بنور الله الواحد الأحد بعد أن نصير أنصار هذا المسيح الموعود الذي بعثه الله تعالى لهذا الهدف. أما إذا كانت قلوبنا نحن ملطخة بصنوف النجاسات والأدران والمطامع فأنى لنا أن نقوم بإصلاح الدنيا. فالواجب الأصلي لأنصار الله الآن، أعني بعد ارتباطهم بالإمام المأمور في هذا العصر، أن يسعوا لإخضاع الدنيا أمام الله الأحد وجمْعِهم تحت راية محمد رسول الله ﷺ. وهذا يحتم علينا أن نفحص أنفسنا جيدا، لنرى أي نوع من أنصار الله نحن. لقد قال المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام وهو ينبهنا إلى محاسبة أنفسنا:

ولتعلمْ جماعتي أنهم جاءوني لأُنمّيهم كالبذر، فيكونوا شجرةً مثمرة، لذا فليفحصْ كلُّ واحد منكم نفسه ليعلم كيفية باطنه وقلبه. لو كان أبناء جماعتي يقولون خلاف ما في قلوبهم -لا سمح الله- فلن

تكون عاقبتهم محمودة. (بعد بلوغ هذا العمر يفكر المرء في حسن عاقبته، ويقول عليه السلام إنه إذا كان على لسان المرء خلاف ما في قلبه فلن تكون العاقبة خيرا) لأن الله تعالى حين يرى جماعةً تدّعي باللسان ادعاءات واسعة وقلوبها فارغةٌ، فإن الله غنيّ ولا يعبأ بها.

إذن فإننا لن نكون أنصار الله حقًا إلا إذا أصبحنا بذرةً طيبة، وبعد أن نكون بذرة طيبة لا بد لنا من العمل بأحكام الله رسوله ﷺ، والطاعةِ الكاملة للإمام المأمور في هذا الزمان، وعندها سنكون الشجرة التي أنتجتها هذه البذرة والتي ستطعم العالم ثمار الحسنات. إن الانسجام بين أقوالنا وأفعالنا سوف يساعدنا على الفوز بقرب الله تعالى، كما سيكون وسيلة لإصلاح أجيالنا واطمئناننا بأننا نرحل من هذه الدنيا بعد أن جذّرنا التقوى والصلاح في ذرارينا، وقمنا بتطعيم سيساعد أجيالنا القادمة على الارتباط بالله تعالى بقوة وبالتالي يكونون أشجارا مثمرة تؤتي أُكُلَ الحسنات.كما سيدعون العالم إلى الله الواحد لكي يكونوا أنصار الله حقا. فكلما توسعنا في هذا الموضوع أدركنا أهمية كوننا أنصار الله وكيف سنفي بعهدنا هذا.

لقد بين سيدنا المسيح الموعود عليه السلام هذا الموضوع في خُطبه ومجالسه بشدة مما يكشف لنا المستوى الذي يريد حضرته أن يبلغه أتباعه، وهذه المعايير هي التي ستلعب دورا هاما في ازدهار الجماعة.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام ناصحًا أبناء الجماعة في موضع:

يجب أن ننتبه دائما إلى أي مدى تقدّمْنا في الطهارة والتقوى. والمعيار لاختبار ذلك هو القرآن الكريم. (أي استعرضوا تعليم القرآن الكريم فاقرأوه بتدبر، وعُوه، واعملوا بأوامره، عندها يتبين لكم لأي مدى تقدمتم في الصلاح والبر. فأمامنا خطة عمل ومعيارها القرآن)

ثم قال حضرته: لقد بيَّن الله تعالى أن من علامات المتقين أن الله تعالى ينجيهم من مكاره الدنيا ويتكفل أمورهم. (ثم قال حضرته ما هي علامة المتقي؟ فهناك علامات كثيرة ذكر إحداها وقال، كما قال سبحانه وتعالى): ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. (قال حضرته إن الذي يخشى الله تعالى فإنه سبحانه وتعالى يجعل له طريقا للتخلص من كل مصيبة، ويخلق له وسائل الكسب التي لا تخطر بباله، أي هذه أيضا علامة من علامات المتقي. ثم بين علامة أخرى للمتقي وقال): إن الله تعالى لا يجعل المتقي مضطرًا لحاجات تافهة.

فالموقف يتطلب وقفة تأملية كبيرة، في الدنيا نرى عادة أن الناس في هذا العمر حيث يكبر أولادهم يصيبهم القلق على سد حاجاتهم أكثر، فهم يفكرون أكثر في دراستهم وغيرها من النفقات. فحين

يبلغ المرء أربعين سنة من عمره، يَكثر تفكيره في هذه الأمور، ثم إن الذين هم غارقون في المادية أو الذين يتضاءل توكلُهم على الله ﷻ يبحثون عن شتى الحيل والأساليب لسد هذه النفقات، سواء كانت جائزة أم غير جائزة، وهي في بعض الأحيان تكون غير جائزة أيضا.

فهنا نلاحظ مثلا أن كثيرا من الناس يستخدمون أساليب باطلة للتخلص من الضرائب لسد نفقاتهم هم وأولادِهم ولشراء البيت أو لتحقيق رغبة مادية أخرى، ويحاولون أن يوظِّفوا خدعًا أخرى أيضا. حتى إن بعض الأحمديين أيضا يتورطون في مثل هذه الأمور، وليس في الشئون المادية بل في مجال التبرعات حيث لا يخبرون عن الدخل الصحيح لهم، مع أنه قد فُسِّر لهم بوضوح أنهم إذا كانوا لا يقدرون على دفع التبرعات على نسبة محددة فيمكن أن يأخذوا الرخصة، فليس ثمة إكراه على دفع التبرع. فيمكن أن يقولوا إني لا أستطيع نظرا لأوضاعي أن أدفع أكثر من كذا، لكن يجب ألا يكذبوا. يقول الله ﷻ إذا اتقَيتم الله فسوف يدبر لكم بنفسه، أو يبارك في القليل فيكون كافيا لسد حاجاتكم دون أن تشعروا. وهذا ليس كلاما شفهيا، بل يكتب إلي الكثيرون من الأحمديين إننا توكلنا على الله فهيأ الله لنا وسائل غير متوقَّعة، فتوفرتْ لنا النفقات وسُدَّت حاجتنا إلى المال، فهناك أمثلة كثيرة عندي على ذلك كما قلت، لا يسمح لي الوقت لأتناولها الآن.

لقد ضرب المسيح الموعود عليه السلام بنفسه مثالا شارحا هذا الأمر وقال إن بعض الناس يزعمون أن الأمور لا تستوي بدون اللجوء إلى الكذب، فيكذبون بكل جسارة ويُظهرون للناس كأنهم مضطرون لذلك ويقولون بكل جسارة بأننا قد اضطررنا لكذب المقال لسبب كذا وكذا. فقال المسيح الموعود عليه السلام إن كلامهم هذا لا يصح على الإطلاق، إذ لا يمكن أن يعِد الله تعالى من ناحية أنه سيجعل للمتقي مخرجا من ظروف حالكة ويقول للبعض من ناحية ثانية أن يكذبوا ويتخلصوا من المشاكل بالقول الزور. هذا ليس من صفات الإله الذي نؤمن به. يقول المسيح الموعود عليه السلام: لا تظنوا أن الله تعالى ضعيف، بل هو شديدُ القوةِ المتينُ، فلو توكلتم عليه في أموركم لأعانكم حتمًا. ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إذن، التوكل على الله تعالى ضروري، وإن التوكل لا ينشأ إلا بالتقوى ولا يكفي القول باللسان فقط بأننا نتوكل عليه ﷻ بل هناك حاجة إلى الوصول إلى أعلى مستويات التقوى، كما نحن بحاجة إلى رفع مستوى عباداتنا، والتحلي بالأخلاق السامية، والانتباه إلى أداء حقوق الآخرين، وإيثار الدين على الدنيا. فلو أحدثنا تغيُّرا حقيقيا في حالتنا بحيث يصبح الدين مقدّما على الدنيا، ففي هذا المقام يصبح الله تعالى كافيا لعبده.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: والذين كانوا أول المخاطبين لهذه الآيات كانوا هم أهل الدين، وكانت جلّ همومهم منصبة على الدين، وكانت أمورهم الدنيوية مفوَّضة إلى الله تعالى. لذلك طمأنهم الله قائلا: إني معكم. فمن بركات التقوى أن الله تعالى يرفع جميع العراقيل الدنيوية التي تحول دون أموره الدينية.

إذن، لو كنا ملتزمين بأداء الصلوات في ميقاتها غير مبالين بأعمال دنيوية وكذلك إذا آثرنا مهاما دينية وأمور الجماعة غير مبالين بالأمور الدنيوية فيقول الرب ذو القوة المتينُ إني معكم وسأرفع عنكم كروبكم. الإنسان لا يستطيع أن ينصر الله بشيء بل الله هو الذي يهب لنا فرصة لخدمة الدين ويعطينا أفضل حسناتنا ويسدّ حاجاتنا. وبعد كل هذا اللطف يُدخلنا في زمرة أنصار الله. فكم هو رحيم ربُّنا، وكم هو معطاء! لا نستطيع أن نحيط بألطافه. فعلينا أن نكون عبادا شاكرين لله حقا، ونعمل بأوامره دوما ونقضي حياتنا سالكين مسالك تقواه، وهذه هي الروح الحقيقية لكوننا أنصار الله حقيقة. ندعو الله تعالى أن يوفقنا جميعا لذلك.

والآن سندعو معا ولكن قبل الدعاء إليكم عدد الحضور في اجتماع لجنة إماء الله كما أرسلتها اللجنة، فهو ٦٨٣٠، أما عدد الحضور في اجتماع مجلس أنصار الله فقد ذُكر من قبل. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. تعالوا الآن ندعو معا.